

دراسة في الأدوات الحجاجية في خطب عبد الحميد بن باديس

والبشير الإبراهيمي

A Study In The Argumentative Tools In The Speech Of Abd al-Hamid ibn Badis And al-Bachir al- Ibrahimi

أمنية بن عيجة *

أ.د/ مفتاح بن عروس *

تاريخ النشر: 2021/09/15	تاريخ القبول: 2021/05/24	تاريخ الإرسال: 2021/01/23
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى الكشف عن مدى استعمال الحجاج في الخطابة الجزائرية لتبيين دوره في معرفة مدى إقناع الخطيب لمستمعيه، لذا قمنا باستقراء بعض الأدوات الحجاجية الموجودة في بعض خطب الإمام عبد الحميد بن باديس والشيخ البشير الإبراهيمي، وتناولنا ضمن هذه الأدوات ثلاثة أصناف هي: السلالم الحجاجية، والروابط الحجاجية، والعوامل الحجاجية. وذلك من أجل استنتاج طريقتيهما في التأثير على المستمعين بواسطة خطبهما التي تميّزت بالفصاحة ودقة التعبير وقوة الإقناع.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، الأدوات الحجاجية، السلالم الحجاجية، العوامل الحجاجية، الخطابة.

المؤلف المرسل: أمينة بن عيجة amiben259@gmail.com

* جامعة - الجزائر 02- كلية الآداب واللغات الشرقية- amiben259@gmail.com

* المدرسة العليا للأساتذة الأغواط abousoundous02@yahoo.fr

Abstract:

This paper aims to reveal the use of argumentation in the Algerian Speech in order to know to what extent the speaker is persuasive. For this reason, we have induced some argumentative tools in a number of Imam Abdulhamid Ibn Badis and Bachir Allbrahimi's speeches, among which we dealt with three: argumentative scales, factors and argumentative linking words so as to discover their way in convincing listeners through their speeches, which were characterized by their good language and style and persuasion.

Key words: *Argumentation, Argumentative tools, Argumentative scales, Argumentative linking words, Speech.*

*** **

1. مقدمة

يسعى كل خطاب إلى تحقيق غاية معينة، والخطيب بدوره يهدف إلى التأثير في مخاطبيه وإقناعهم بأفكاره، ولكي يحقق مقاصده لابد له أن يقدم حججا لذلك. وتؤدي الخطب وظيفة إقناعية حجاجية؛ حيث يستحضر الخطيب أدوات بيانية وتقنيات حجاجية ووسائل خطابية ليقود المتلقي إلى مقصده الذي يرمي إليه وبالتالي إقناعه والتأثير فيه، وهذا ما يسعى الحجاج إلى الكشف عنه. ويعدّ فنّ الخطابة من أبرز الفنون الشفهية التي تعبّر عن أحوال المجتمع المختلفة، فهي تتناول موضوعات متعدّدة: سياسية، اجتماعية، دينية، فكرية...

وقد شهدت الجزائر اعتمادا كبيرا على هذا الفنّ خاصّة في فترة الاستعمار الفرنسيّ، وبشكل أخصّ الفترة التي ظهرت فيها الأفكار الإصلاحية التحرّرية، وانتشرت هذه الأفكار بداية من عهد الإمام عبد الحميد بن باديس* الذي كان له دور عظيم في قيام الثورة الجزائرية، وتحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي، معتمدا من أجل تحقيق ذلك العديد من الوسائل الإصلاحية التي عادت بنتائج قيّمة يشهد لها التاريخ الجزائري. ولا يخفى على

أحد جهود الشيخ البشير الإبراهيمي** ودوره الكبير في القضاء على الجهل والتمسك بالإصلاح.

ينطلق مقالنا من اعتبار الخطب عملاً لغوياً حجاجياً تواصلياً، وقد صنعت الأدوات الحجاجية قوة لغوية حجاجية تواصلية فيها، وهذا ما دفعنا إلى تحليل هذه الأدوات لمعرفة كيفية بناء الخطيب لخطبته فطرحنا الإشكالية التالية: كيف يستعمل الخطيب الحجاج في خطبه لإقناع مستمعيه؟ أو بعبارة أخرى ما هي الأدوات الحجاجية التي يعتمد عليها الخطيب في خطبه لإقناع مستمعيه؟ وللإجابة عن هذه الإشكالية لابد من طرح تساؤلات فرعية هي: ما هي الأدوات الحجاجية؟ كيف تساهم الأدوات الحجاجية في إقناع وتفاعل المتلقين مع الخطب؟ كيف يتم بناء الخطب بواسطة الحجاج؟ كيف يمكن الحكم على خطبهما بأنها منسجمة؟.

2. تعريف الحجاج: سنقدم باختصار تعريف الحجاج لغة واصطلاحاً في ما يلي:

1.2 لغة:

عرفت مادة (حجج) في معاجمنا العربية تعريفات كثيرة منها تعريف ابن منظور (ت 711هـ) في لسان العرب يقول: «يُقَالُ: حَاجَجْتُهُ أَحَاجُهُ حِجَاجاً وَمُحَاجَّةً حَتَّى حَجَجْتُهُ أَيَّ غَلَبْتُهُ بِالْحَجَجِ الَّتِي أَذْلَيْتُ بِهَا ... وَالْحُجَّةُ: الْبُرْهَانُ. وَقِيلَ: مَا دُفِعَ بِهِ الْخَصْمُ... وَجَمَعَ الْحُجَّةَ: حُجَّجَ وَحِجَّاجٌ. وَحَاجَّهُ مُحَاجَّةً وَحِجَاجاً: نَازَعَهُ الْحُجَّةَ. وَحَجَّهُ يَحْجُهُ حَجّاً: غَلَبَهُ عَلَى حُجَّتِهِ. وَفِي الْحَدِيثِ: فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى أَيَّ غَلَبَهُ بِالْحُجَّةِ. وَاحْتَجَّ بِالسَّيِّئِ: اتَّخَذَهُ حُجَّةً؛ قَالَ الْأَزْهَرِيُّ إِنَّمَا سُمِّيَتْ حُجَّةً لِأَنَّهَا تُحَجُّ أَيُّ تُفْصَدُ لِأَنَّ الْقَصْدَ لَهَا وَالْمُتَابَعَةَ... وَهُوَ رَجُلٌ مُحَجَّاجٌ أَيُّ جَدِلٌ»¹.

ويقول الزمخشري في مادة (حجج): «وَاحْتَجَّ عَلَى خَصْمِهِ بِحُجَّةٍ شَهْبَاءٍ، وَبِحُجَجٍ شُهْبٍ، وَحَاجَّ خَصْمَهُ فَحَجَّهُ، وَفَلَانَ خَصْمُهُ مُحْجُوجٌ، وَكَانَتْ بَيْنَهُمَا مُحَاجَّةٌ وَمَلَاجَةٌ. وَسَلَكَ

المَحْجَّةَ². وذكر ابن فارس الفعل "حاجج": «وَيُقَالُ حَاجَجْتُ فَلَانًا فَحَاجَجْتُهُ أَيَّ غَلَبْتُهُ بِالْحُجَّةِ، وَذَلِكَ الظَّفَرُ يَكُونُ عِنْدَ الْخُصُومَةِ، وَالْجَمْعُ حُجَجٌ، وَالْمَصْدَرُ الْحِجَاجُ»³.

والملاحظ من خلال التعريفين السابقين أن الحجاج هو جمع حُجَّة، وهو مصدر الفعل (حَاجَجَ) ويدل على وجود طرفين أو أكثر في الكلام أو التواصل، ويقع الحجاج في النزاع أو الخصام الذي يتطلب حُججا وبراهين وأدلة. ويؤكد الطاهر بن عاشور أن «معنى (حَاجَجَ) خَاصَمَ، وَهُوَ فِعْلٌ جَاءَ عَلَى زِنَةِ الْمُفَاعَلَةِ -أَيَّ فَاعَلَ- . وَمِنْ الْعَجِيبِ أَنَّ الْحُجَّةَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الْبُرْهَانُ الْمُصَدِّقُ لِلدَّعْوَى مَعَ أَنَّ حَاجَّ لَا يُسْتَعْمَلُ غَالِبًا إِلَّا فِي مَعْنَى الْمُخَاصَمَةِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ﴾ (غافر/47)»⁴. ونجد أن الحجاج مرادف للجدل في الكثير من تعريفات العرب القدماء؛ إذ يعرف الجدل لغة: «الْجَدْلُ مُقَابَلَةُ الْحُجَّةِ بِالْحُجَّةِ، وَالْمُجَادَلَةُ: الْمُنَازَعَةُ وَالْمُخَاصَمَةُ... وَيُقَالُ: إِنَّهُ لَجَدِلٌ، إِذَا كَانَ شَدِيدَ الْخِصَامِ»⁵.

2.2 اصطلاحاً:

تعددت مفاهيم مصطلح الحجاج (Argumentation) فيعرفه ميشال مايير (M.MEYER) في قوله: «يعرف الحجاج عادة بكونه جهداً إقناعياً، ويعتبر البُعد الحجاجي بُعداً جوهرياً في اللغة لكون كل خطاب يسعى إلى إقناع من يتوجه إليه»⁶. ويظهر لنا من خلال هذا التعريف أن الحجاج يستعمل اللغة بشكل أسامي في كل خطاب لهدف واحد وهو لإقناع الطرف الآخر- المتلقي-. وعرفه بيرلمان بقوله: «هو مجموعة من التقنيات الخطابية التي تسمح بإثارة أو زيادة موافقة الأذهان مع الأطروحات التي تعرض عليها بهدف تقبلها... وماهية الحجة هي نقطة جوهريّة لكل نظرية... وهي صورة خطابية يمكن تمييز شكلها بواسطة بنية خاصة بها»⁷.

إنَّ أهمَّ ما تركز عليه دلالة الحجاج هو «وجود اختلاف بين المرسل للرسالة اللغوية والمتلقي لها، ومحاولة الأول إقناع الثاني بوجهة نظره، بتقديم الحجة والدليل على ذلك.

فالحجاج انتهاج طريقة معينة في الاتصال، غايته استمالة عقول الآخرين والتأثير فيها، وبالتالي إقناعهم بمقصد معين.⁸

3. تعريف الخطابة:

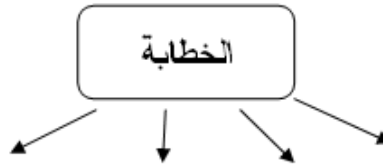
1.3 لغة: عُرِفَت الْخَطَابَةُ فِي تَرَاثِنَا الْعَرَبِيِّ الْقَدِيمِ لَذَا نَجِدُ الْمَعْجَمَ زَاخِرَةً بِتَعْرِيفِهَا: لَفْظُ "الخطابة" مُشْتَقٌّ مِنَ الْجَذْرِ اللَّغَوِيِّ "خ، ط، ب"، وَتَحْمِلُ مَعَانٍ عَدِيدَةً فِي مَعْجَمِنَا الْعَرَبِيَّةِ؛ فَنَجِدُهَا بِمَعْنَى: «خَطَبَ الْخَاطِبُ عَلَى الْمُنْتَوِرِ خَطَابَةً، بِالْفَتْحِ، وَخُطْبَةً، بِالضَّمِّ، وَذَلِكَ الْكَلَامُ: خُطْبَةٌ أَيْضًا، أَوْ هِيَ الْكَلَامُ الْمُنْتَوِرُ الْمُسَجَّعُ وَنَحْوُهُ، وَرَجُلٌ خَطِيبٌ: حَسَنُ الْخُطْبَةِ، بِالضَّمِّ».⁹

2.3 اصطلاحاً: عرف الطاهر بن عاشور الخطابة بقوله: «كلام يُحاولُ به إقناع أصناف السامعين بصحة غرض يقصده المتكلم لفعله أو الانفعال به».¹⁰ ويقصد -الطاهر بن عاشور- بالخطابة¹¹ ذلك الكلام المنثور المنظوم - إذ يجوز أن تشتمل الخطبة على نظمٍ-، يحاول الخطيب إقناع صنف واحد من السامعين، لغرض اتخذه هدفاً، كالحث على طلب العلم والجهاد أو خطبة في إرضاء الناس بأمر واقع. ويقصد بالعبرة الأخيرة إشارة إلى غاية الخطيب من الخطابة، وهي إما فعل المخاطبين شيئاً يريد أو اعتقادهم شيئاً يُعلمهم إياه.

وطرح ابن رشد في تلخيصه تعريف الخطابة عند أرسطو بالصياغة التالية: «والخطابة هي قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأشياء المفردة. ويعني بالقوة: الصنعة التي تفعل في المتقابلين وليس يتبع غايتها فعلها ضرورة. ويعني بتكلف: أن تبذل مجهودها في استقصاء فعل الإقناع الممكن. ويعني بالممكن: الإقناع الممكن في ذلك الشيء الذي فيه القول، وذلك يكون بغاية ما يمكن فيه. ويعني بقوله في كل واحد من الأشياء المفردة، أي في كل واحد من الأشخاص الموجودة في مقولة من المقولات العشر».¹² وقد شرح هذا التعريف علي محفوظ بقوله: «ويصح أن يُراد بالخطابة ملكة الاقتدار على

الإقناع، واستمالة القلوب وَحَمَلِ الغير على ما يراد منه، بل هذا هو المعتبر عند المحققين في معنى العلم ويؤيده ما نقل عن أرسطو في رسمها [...] ومعناها أن الخطابة ملكة يطبق صاحبها إقناع المخاطبين في أي أمر يدعى أنه غرض صحيح.¹³

قدّم عبد الجليل شلبي تعريفاً للخطابة واعتبره أدقّ وأوضح تعريفاً لها إذ قال : «فنّ مخاطبة الجماهير بطريقة إقائية تشتمل على الإقناع والاستمالة».¹⁴ يبدو من خلال هذا التعريف أن الخطابة في إطارها العام تقوم على تحقّق عنصرين مهمّين هما : الإقناع والاستمالة، واللذان يعتبران من وظائف الحجاج. عموماً تصبّ المفاهيم السابقة للخطابة في العناصر المبيّنة في الشكل التالي:



المشافهة الإقناع الاستمالة طريقة الإلقاء

فتمثّل المشافهة طريقة تبليغ الخطيب خطبته لمستمعيه وهي غير الكتابة، والإقناع والاستمالة متعلّقان بالمتلقي، ومهمّة الخطيب تحقيقهما، أمّا طريقة الإلقاء فلها علاقة بأسلوبه الذي يستخدمه من أجل تحقيقهما، وتكون هذه الطريقة حسب المقام الذي تلقى فيه الخطبة. وكل هذه المفاهيم الاصطلاحية لها علاقة بمفهوم الخطابة اللغوي.

4. الخطابة والحجاج:

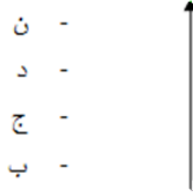
بيّن أرسطو (ARISTOTE)¹⁵ أنّ وظيفة الخطابة لا تنحصر في الإقناع فقط بل تنظر في الوسائل المقنعة التي يشتمل عليها كل موضوع. وهذا يعني أنها تستخدم لاكتشاف الإقناع الحقيقي من الإقناع الظاهري. كما ربط الخطابة بالإقناع في مواضع كثيرة¹⁶؛ حيث بيّن أن الإقناع قد يحصل بالسمات والطباع متى كان الخطاب من شأنه أن يجعل الخطيب أهلا للتصديق، وهذا يقتضي أن يكون الخطاب مؤثرا في المستمع. ويحصل الإقناع أيضا حين يستميل الخطاب المستمعين ويصدر عنهم انفعال ما. إذن فالخطاب –بالنسبة إليه- هو الذي ينتج الإقناع من كل موضوع يحتمل أن يقع فيه الإقناع. وعلى الخطيب أن يكون مقتنعا بوجهة نظره ومصدقا لها، حتى يتسنى له بواسطة خطبته إقناع السامع بها.

إنّ هدف الخطابة هو الإقناع ولكن قد لا يحصل الإقناع لدى المستمع، وخاصة إذا لم يقدم الخطيب الأدلة المقنعة له، وقد لا يحصل لأسباب خارجة أخرى كعدم قدرة الخطيب على إيصال أفكاره باستعماله الألفاظ والعبارات غير المناسبة، ومن علامات حصول الإقناع¹⁷ لدى المستمعين، حين يتهيئون لتلقّيهم القول الخطابي ويستميلهم، حتى يشعرون بانفعال ما.

5. الأدوات الحجاجية: تندرج تحت هذه الأدوات الأصناف التالية: السلالم الحجاجية، الروابط الحجاجية، العوامل الحجاجية.

1.5 السلالم الحجاجية (Argumentative scales):

يعتبر السلم الحجاجي «علاقة ترتيبية للحجج»¹⁸، فالحجج التي تنتهي إلى مجموعة حجاجية وتقوم بينها علاقة ترتيبية ما نقول عنها إنها تنتهي إلى نفس السلم الحجاجي. ويمكن توضيحها في الشكل الآتي:



حيث: "ن": النتيجة ، و "د، ج، ب" حجج تخدم النتيجة "ن"

ويتوجب في السلم الحجاجي توقّر شرطين هما¹⁹:

أ - كل قول يرد في درجة ما من السلم، يكون القول الذي يعلوه دليلاً أقوى منه بالنسبة لـ "ن".

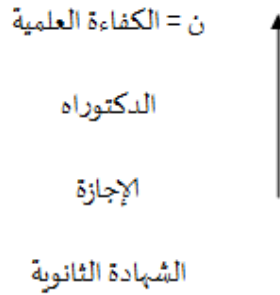
ب - إذا كان القول "ب" يؤدي إلى النتيجة "ن"، فهذا يستلزم أن "ج" أو "د" الذي يعلوه درجة يؤدي إليها، والعكس غير صحيح. ويمكن تقديم الأمثلة التالية²⁰:

1 - حصل زيد على الشهادة الثانوية.

2 - حصل زيد على شهادة الإجازة.

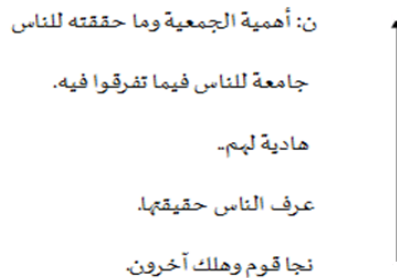
3 - حصل زيد على شهادة الدكتوراه.

تتضمن الجمل السابقة²¹ حججا تنتهي إلى نفس الفئة الحجاجية، وبالتالي فهي تنتهي إلى نفس السلم الحجاجي، فكلها تؤدي إلى نتيجة واحدة هي: كفاءة زيد أو مكانته العلمية. وتعدّ الجملة الأخيرة أقوى الحجج على كفاءته، وهذه الجملة هي التي ترد في أعلى درجات السلم الحجاجي، ويمكن توضيح ذلك في السلم الآتي:



ونجد السّالِم الحجاجية في خطب ابن باديس كثيرة تعمل على شدّ انتباه المستمع وإقناعه أيضا نذكر منها:

- "أيها الإخوان: إن جمعيتكم جامعة للناس فيما تفرقوا فيه من دين الله وهادية لهم فيما ضلّوا من سبيله وقد عرف الناس حقيقتها ولكن نجا قوم وهلك آخرون". فالنتيجة هي أهمية الجمعية وما حقته للناس، والحجج تدرجت لتصنع السلم الآتي:



- "هذا كله قام به رجال الجمعية، ولا غرابة أن يقوموا به فهم من أهل العلم وما أهل إلا الذين ينشرون العلم بدروسهم ومحاضراتهم وخطبهم ومنشوراتهم..". النتيجة هنا هي تبين مجهودات رجال الجمعية واستعدادهم لخدمتها. وتدرجت الحجج في السلم التالي:

ن: مجهودات الجمعية

هم من أهل العلم

ينشرون العلم بدروسهم..

كما نجدها في خُطب الشيخ البشير الإبراهيمي، وكانت مستعملة بكثرة فنأخذ أمثلة
عن بعض السلاالم الحجاجية من أول خطبة الجمعة في مسجد كتشاوة بعد الاستقلال:

- " يا أتباع محمد عليه السلام هذا هو اليوم الأزهـر الأنور وهذا هو اليوم الأغـر المبجل،
وهذا هو اليوم المشهود في تاريخكم الإسلامي بهذا الشمال، وهذا اليوم هو الغرة اللائحة في
وجه ثورتكم المباركة، وهذا هو التاج المتألق في مفرقها، والصحيفة المذهبة الحواشي
والطرز من كتابها". النتيجة هنا هي تعظيم يوم الاستقلال وتخليده في التاريخ، و تدرّجت
الحجج في السلم الآتي:

ن: تعظيم يوم الاستقلال وتخليده في التاريخ.

اليوم الأزهـر الأنور

اليوم الأغـر المبجل

اليوم المشهود في تاريخكم الإسلامي

اليوم هو الغرة اللائحة في وجه ثورتكم المباركة

التاج المتألق في مفرقها

الصحيفة المذهبة الحواشي والطرز من كتابها.

2.5 الروابط الحجاجية: (Argumentative connectors)

كان ينظر للروابط الحجاجية - في تصوّر سابق - على أنّها تقوم بالربط «بين قولين، أو بين حجّتين على الأصحّ أو أكثر، وتسدّد لكل قول دورا محدّدا داخل الإستراتيجية الحجاجية العامة»²². أمّا في الصّيغة الجديدة للنظرية الحجاجية²³ فقد تمّ التخلّي عن التّصور السابق، لأنّ الربط ظاهرة معقّدة ولا يقتصر على ربط قولين فحسب، فقد يربط بين قولين أو بين عناصر غير متجانسة كالربط بين قول وسلوك غير كلامي. مثال:

- زيد مجتهد، غدا سينجح في الامتحان.
هذا الجملة تحتوي حجة هي "زيد مجتهد"، ونتيجة مستنتجة منها هي "سينجح"، وتعتبر "إذن" الرابط الذي يربط بينهما.

قسّم جاك موشلار (J.MOESCHLER) وآن روبول (A.REBOUL) الروابط إلى الأقسام التالية²⁴:

- حروف العطف: مثل: لكن، أو، و، إذن، إذ...
 - أدوات الاستئناف: مقل: رغم أن، حتى إن، بغية، من أجل، وبما أن...
 - ظروف وأحوال: مثل: مع، بالضبط، فضلا عن ذلك، أخيرا، آخر...
 - بعض التعابير الظرفية أو الحالية: مثل: عموما، في نهاية المطاف، نظرا ل...
- وتقوم الروابط «بدور مهمّ في عمليات فهم الخطاب، إذ لا تعمل باعتبارها علامات بسيطة [...] بل تساهم بصورة أساسية في توجيه العمليات التأويلية، ولا يمكن التأويل من دونها [...]»²⁵.

إنّ الوظيفة الحجاجية للغة²⁶ لا تتأثّر إلا بحضور الروابط والعوامل الحجاجية في التسلسلات الخطابية المحدّدة بواسطة بنية الأقوال اللغوية، وبواسطة العناصر والمواد

التي تم تشغيلها. وتشتمل اللغات الطبيعية على مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج؛ فتشتمل اللغة العربية مثلا على عدد كبير من الروابط والعوامل الحجاجية من هذه الأدوات: لكن، بل، إذن، حتى، لاسيما، إذ، لأن، بما أن، مع ذلك، ربما، تقريبا، إنما، ما، إلا...الخ.

استعمل ابن باديس والإبراهيمي العديد من الروابط الحجاجية في خطبهما، ويلاحظ أن ابن باديس لم يكرّر بعضها وإنما كانت متنوعة عنده حتى لا يشعر المستمع بالملل، أما ما ميّز خطب الإبراهيمي فكثرة التكرار الذي استعمله للانتقال من الإجمال إلى التفصيل لتحقيق غايته المرجوة من خطبه، من هذه الروابط نذكر أغلب ما ورد في خطبهما:

- أسماء الإشارة والأسماء الموصولة مثل: "أقدم مثل ذلك الشكر للإخوان الذين تخلّفوا واعتذروا بالبرقيات..".
- لكن وقد: "ولكن الذين قام به رجال الجمعية وضربوا به المثل الرفيع للناس هو تضامنهم..".
- "قد عرف الناس حقيقتها ولكن نجا أقوام وهلك آخرون".

3.5 العوامل الحجاجية: (Argumentative operators)

لا تقوم العوامل الحجاجية بالربط بين «متغيرات حجاجية (أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج)، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما. وتضمّ مقولة العوامل الحجاجية من قبيل: ربّما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما...إلا، وجلّ أدوات القصر»²⁷.

وقد ظهر هذا المصطلح لأول مرة في مقال أوزفالد ديكر (O.DUCROT) المعنون: "Note sur l'argumentation et l'acte d'argumenter"²⁸ الذي نشر عام 1982م، ثم تناوله بالتفصيل في مقال آخر عنوانه: "Opération argumentatifs et visée"

"argumentative" وقد نشر هذا المقال عام 1983 م. ولتوضيح مفهوم العوامل الحجاجية نورد المثال التالي²⁹:

- الساعة تشير إلى الثامنة.
- لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة.
اختلفت القيمة الحجاجية بين المثالين بسبب إدخال العامل الحجاجي (أداة القصر) "لا...إلا" على الجملة الثانية، فالإمكانات التي تتيحها الجملة هي غير الإمكانات التي تتيحها الجملة الثانية التي تحتوي عاملاً حجاجياً. فالإمكانات التي تخدم الجملة الأولى تؤدي إلى نتائج تأويلية مثل: الدعوة إلى الإسراع، التأخر، هناك متسع من الوقت، موعد الأخبار... الخ. والتأويلات التي ترد لهذه الجملة تتعلق بالنتيجة "أسرع" وبالنتيجة المضادة لها "لا تسرع". أما الجملة الثانية التي تحتوي العامل الحجاجي فإن إمكاناتها تقلصت وأصبحت نتيجة هذا القول: "لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة، لا داعي للإسراع".

- الساعة تشير إلى الثامنة، أسرع.
- لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة؟، أسرع.
نلاحظ أن الجملة الأولى سليمة ومقبولة، أما الجملة الثانية فتبدو غريبة تحتاج إلى ورودها ضمن سياق آخر، وبتعبير آخر فإنها تحتاج إلى مسار تأويلي آخر.

ونذكر من العوامل الواردة في خطب ابن باديس مثل:

- "وأشهد بأنهم قاموا به خير قيام وأنهم لا يرجون من الأمة إلا أن تعرف ما يدعون إليه عن بصيرة..".
- " .. إنما يدعونها إلى واضح لا إلى مشتبه، وإلى حق لا إلى باطل، وإلى هدى لا إلى ضلال، وإنما يدعونها إلى الأعلام الهادية من كتاب الله وسنة رسوله..".

ومنها في خطب إبراهيمي:

- "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها..".
 - "هذا القرآن هو الذي صلح عليه أول هذه الأمة وهو الذي لا يصلح آخرها إلا عليه..".
6. خاتمة:

كشفت لنا هذا البحث عن أهم الأدوات الحجاجية المستعملة في الخطب الجزائرية لإقناع المتلقين وبثّ اليقين في قلوبهم، والتي اخترنا منها خطبا لعبد الحميد بن باديس والشيخ البشير الإبراهيمي. ومن خلال عرضنا يمكن استخلاص النقاط التالية:

- إنّ للخطابة دور كبير في حلّ مشاكل الحياة الاجتماعية، وهي تعدّ وسيلة للتواصل بين الناس تسهّل عليهم التفاهم والاقتران بأراء بعضهم. ويتحقّق نجاح الخطابة بتحقيق شرطين أساسيين هما الإقناع والاستمالة؛ فتوقّرهما يظهر باستجابة المتلقين لأفكار الخطيب الذي ينوي من خلالها معالجة جانب من جوانب الحياة المختلفة. وهذا يعني أنّنا يمكن وصف العلاقة بين الحجاج والخطابة بأنّها قوية ولا يمكن فصلهما مادام تحقّق نجاح الخطيب مرهون بتحقيق الإقناع والاستمالة.

- لعبت الخطابة دورا هاما في إنجاح الحركة الإصلاحية في الجزائر التي مثّلها الإمام عبد الحميد بن باديس والشيخ البشير الإبراهيمي، اللذان تميّزت خطبهما بأسلوب يلفت انتباه المستمعين، واستعمالهما الحجج المتدرجة التي صنعت سلالمة حجاجية قوية، جعلت من الخطيب نفسه محطّ اهتمام وهذا دليل على الحشد الكبير الذي كان يلتحق بهما من كل صوب للاستماع إلى خطبهما.

- وطريقتهما في استمالة المخاطبين كانت متعلّقة بكيفية توظيف روابط حجاجية متنوعة ومتعدّدة في خطبهما، ولم يهمل العوامل الحجاجية، ولوحظ اعتمادهما المتكرر على أسلوب القصر الذي يخلق حجاجا وإقناعا من الخطيب واستجابة من المتلقين. ما توصل إليه مقالنا يعدّ نقطة من فيض لذا علينا الاهتمام أكثر بترائنا الأدبي الجزائري الأصيل لأنّه حافل ببلاغة مؤلّفه، وقوّة إقناعهم، وتأثيرهم في متلقّهم سواء كان شعرا أو نثرا أو خطبة أو قصة...

* العلامة صاحب الحركة الإصلاحية الجزائرية هو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس، وابن زهيرة بنت علي بن جلول، الولد البكر لوالديه. ولد الشيخ الإمام المناضل عام (1308هـ) الموافق لـ (1889م) في قسنطينة، وهو ينتسب إلى الأسرة الباديسية المشهورة في التاريخ، عمل على اعتناق الناس المذهب السيئي. ووالده محمد المصطفى من كبار الوجهاء في قسنطينة، وكان عضواً في المجلس الجزائري الأعلى، وعمل جاهداً على الدفاع عن سكان قسنطينة ومحاولاً تحقيق مطالبهم. توفي عام 1940م.

** ولد الشيخ بقرية رأس الوادي بمدينة سطيف في 14 يونيو عام 1889م، أتم حفظ القرآن في سن مبكرة على يد عمه الشيخ المكي الإبراهيمي، ويعتبر نائب جمعية العلماء المسلمين لرئيسها ابن باديس، وقد وضع دستوراً وقانونها الأساسي، وأصل النضال بعد وفاة ابن باديس، توفي سنة 1965م.

1 ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، د. ط، بيروت-لبنان، د. ت، مادة (حجج)، مج. 02، ج. 09، ص. 780.

2 الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، أساس البلاغة، تح. محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط. 01، بيروت-لبنان، 1998م، (حجج)، ص. 169.

3 ابن فارس أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، تح. محمد عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط، د. ت، ص. 30.

4 محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د. ط، 1984م، ج. 03، ص. 31-32.

5 لسان العرب، مادة (جدل)، ص. 571.

6 حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي "عناصر استقصاء نظري"، مجلة عالم الفكر، الكويت، ع. 01، مج. 30، سبتمبر 2001م، ص. 99.

7 فيليب بروتون وجيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، تر. محمد صالح ناهي الغامدي، مركز النشر العلمي، السعودية، ط. 01، 2011، ص. 46.

8 مها خير بك ناصر، اللغة العربية والعولمة في ضوء النحو العربي والمنطق الرياضي، مجلة التراث العربي، السنة. 26، ع. 102، نيسان 2006، ص. 102.

9 الفيروز أبادي محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط. 08، 2005م، ص. 81.

10 ابن عاشور محمد الطاهر، أصول الإنشاء والخطابة، تح. ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط. 01، 1423هـ، ص. 118.

11 ينظر، الطاهر ابن عاشور، مصدر سابق، ص. 118-119.

12 ابن رشد أبو الوليد، تلخيص الخطابة، تح. محمد سليم سالم، القاهرة-مصر، د. ط، 1967م، ص. 28.

13 علي محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، دار النصر، مصر، د. ط، 1984م، ص. 14.

14 شلي عبد الجليل عبده، الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق، القاهرة-مصر، ط. 01، 1981م، ص. 13.

- 15 ينظر، أرسطو، الخطابة، تر. عبد القادر قنيني، مكتبة الأدب المغربي، أفريقيا الشرق، المغرب، د.ط، 2008م، ص.13-14.
- 16 ينظر، المرجع نفسه، ص.16.
- 17 ينظر، أرسطو، مرجع سابق، ص.16.
- 18 التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق.حمو النقاري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط.01، 2006م، ص.59.
- 19 ينظر، حمو النقاري، مرجع سابق، ص.60. وطه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط.2000، 02م، ص.105.
- 20 ينظر، طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط.02، 2000م، ص.105.
- 21 ينظر، حمو النقاري، مرجع سابق، ص.60.
- 22 المرجع نفسه، ص.64.
- 23 ينظر، أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط.01، 2006م، ص.29.
- 24 جاك موشلار وأن روبول، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر. سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ط.01، 2003م، ص.169.
- 25 المرجع نفسه، ص.173.
- 26 ينظر، أبو بكر العزاوي، مرجع سابق، ص.26.
- 27 حمو النقاري، مرجع سابق، ص.64.
- 28 ينظر، أبو بكر العزاوي، مرجع سابق، ص.28.
- 29 ينظر، المرجع نفسه، ص.28-29.

*** **